حصـــاد الإرهاب

لكل غـراس جنىً ، ولكل شجر ثمر ، ولكل زرع حصاد، والغراس الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ، وإن من يحرث بمحاريث الطيش، ويبذر الفتنة ، ويرويها بالعنف ، سوف يتجرع من ثمره إذا أثمر ويكتوى بناره في يوم حصاده ، ويقال لهم : هذا ما زرعتم ، وذوقوا ما بذرتم ، وإن الذين يتلمسون أفكار الجهل، ويتشبثون بآراء العنف ، ويجمعون مقولات التطرف ، ويتهافتون على فتاوى الإرهاب ، سيجنون عواقبها الوخيمة لا محالة ، ويحصدون مآلها السيئة لا مناص .

فمن ذا الذي يرضى لنفسه العذاب ، ويزرع العنت ، ويغرس الشقاء ، ويمتهن الإرهاب؟! إن الله رفع عنا العنت، وأبعد عنا الحرج ، ولم يورثنا المشقة ، ولم يحملنا ما لا طاقة لنا به ، وإن نصرة دينه ، وعزة شريعته ، لا تكون ببث الخوف ، أو نشر الرعب، أو التردي في المهاوي والمهالك أو الإفساد في الأرض، أو الإلقاء بالأنفس إلى التهلكة ، أو التضحية بالأرواح على غير بصيرة .

إن مجرد تقديم الأرواح ونثر الدماء ليس مراداً في الإسلام، بل إن الإسلام جاء لحفظها وصيانتها : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ ، ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ ، إن المراد هو هداية البشرية ، وإنقاذ الإنسانية . وإذا قدمت الأرواح ، وبذلت

الأموال في سبيل الحق ، ورفع راية الدين، والذب عن حياضه على نور من الله ، وهداية من رسوله ﷺ فذلك أقل ما يكون لنصرة الإسلام ، ورتب الله عليه أعظم الثواب ، حيث اشترى هذه الأنفس من أهلها ، يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ .

[التوبة : ١١١]

ولو كان المراد في الإسلام هو بالدرجة الأولى نثر الدماء، والتضحية بالأرواح ، دون نظر للنتائج ، وبصر بالأمور ، وهداية من الخالق ؛ لأمر الله الأنبياء وأتباعهم ببذل أرواحهم ، والتضحية بأنفسهم منذ الوهلة الأولى لابتعاثهم ودخول أتباعهم في الدين ، ورضاهم بالعقيدة ، ولكن السنن الإلهية كانت على خلاف ذلك ، حيث أمر الأنبياء عليهم السلام ببذل الجهد ، والصدق في النصح ، والصبر على الأذى حتى تثمر الدعوة، ويحصل المراد ، وتهتدي الأمم ، فإذا أغلقت السبل ، وبارت الحيل ، واستنفد الجهد ، وبات الجهاد بالأنفس أمراً محتماً ، وخياراً محدداً ، وتوافرت شروطه ، واكتملت أسبابه، وانتفت موانعه ، وأيده الوحي ، ودعا له الأئمة ، فليُنطَلق فيه على نور من الله لإعلاء كلمته ، والذب عن دينه .

ولو كانت المسألة لمجرد التضحية بالأنفس ، والمبادرة بالقتال لكان المسلمون من المهاجرين رضي الله عنهم ؛ الذين عاشوا في

حمأة الكفر ، وتلطخوا بالجاهلية ، ثم منّ الله عليهم بالإسلام لكان الأولى بهم أن يبادروا مباشرة بتقديم أرواحهم خصوصاً وهم سيجودون بها ضد أناس كافرين متغطرسين يريدون أن يستأصلوا شأفة الإسلام ، ويسكتوا صوته ، ويطفئوا نوره ، لو كان الأمر كذلك لغامروا بحياتهم ، وخاطروا بدعوتهم ، وانتقموا ممن يجرعهم العذاب ، ويذيقهم النكال ، ويقودهم في أزقة مكة ، ويلقيهم في الرمضاء ، ويضع عليهم الصخور ، ويتفنن في إهانتهم ، لماذا لم يهاجموهم، أو يهدموا منازلهم ، أو يخطفوهم ، أو يخطفوا أحداً من أبنائهم ، أو يغتالوا أحداً منهم ؟!! لأن الله تعالى لم يأمرهم بذلك ، ولأن القصد من الدين الإحياء وليس الإماتة ، والدعوة وليس الجفوة ، ولأن القوى غير متكافئة ، ولأن تلك التصرفات ستودي بهم وبدعوتهم ، ولأن الرسول ﷺ لم يدعهم إليه ، بل أمرهم بالصبر وكف الأيدي والصفح الجميل .

فيا سبحان الله إذا كان النبي المصطفى ﷺ المؤيد بالوحي، المتلقي عن الله ، أعظم الناس إيماناً ، وأكثرهم خشية لله لم يقدم على أي عمل من تلك الأعمال رغم ما عاناه هو في نفسه، ورغم ما حل به وبمن معه من العذاب ، فهل يعقل أن يتبنى أناس هذه الأمور الخطرة المهلكة وينسبوها للإسلام ، مع أن العلماء والعقلاء ينادون بأصوات عالية : ويلكم لا تفعلوا ، ويلكم لا تفعلوا .

لقد كان يمر ﷺ بأحد أصحابه وقد أضناه العذاب ،

ومـزقـتـه السـيـاط ، وأرهـقـه العناء ، فـينادي في المصطفى ﷺ بصوت ملؤه الحزن والأسى واللوعة : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصر لنا ، فيرد المعلم الأعظم ، والداعية المتفائل ، والمؤمن الصابر: « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » . [أخرجه البخاري ومسلم]

فـــوضت أمـــرك للديان مـــصطبـــراً
بصـــدق نفس وعـــزم غـــيـــر منثلم
ولـى أبـوك عـن الـدنيـــــــا ولـم تـره
وأنـت مـــــــرتـهـن لا زلـت في الـرحـم
ومـــــاتـت الأم لما أن أنـسـت بـهـــــا
ولـم تـكـن حـين ولـت بـالـغ الحـلـم
ومـــات جـــدك من بعـــد الولوع به
فكنت من بعـــدهـم في ذروة اليـــتـم
فـجـاء عـــمك حـــصناً تســتكن به
فـاخـتـاره الموت والأعـداء في الأجم
ترمى وتؤذى بأصناف العـذاب فـمـا
رؤيت في ثوب جـــبـــار ومنتـــقـم
حـتى على كـتـفـيك الطاهرين رمـوا
ســـلا الجـــزور بكف المشـــرك القـــزم

أمـا خـديجـة من أعطتك بهـجـتـهـا
وألبـــســـتك رداء العطف والكرم
غـــدت إلى جنة البـــاري ورحـــمـــتـــه
فـــأسلمـــتك لجـــرح غـــيـــر ملتـــئم
والقلب أفـــعم من حب لعـــائشـــة
ما أعظم الخطب فالعرض الشريف رمي
وشج وجـــهك ثم الجـــيش في أحـــد
يعـــود مـــا بين مـــقـــتـــول ومنهـــزم
لما رزقت بإبراهيم وامـــتـــلأت
به حـــيـــاتك بات الأمـــر كـــالعـــدم
ورغم تلك الرزايا والخطوب ومـــا
رأيت من لوعـــة كـــبـــرى ومن ألم
مـا كنت تحمل إلا قلب مـحـتـسب
في عـزمٍ مـتـقـد في وجـه مـبـتـسم
بنيت بالصـــبـــر مـــجـــداً لا يماثله
مـجـد وغـيـرك عن نهج الرشـاد عم

هذا هو منهج الأنبـيـاء ، وسـبـيل الأوليـاء ، الصـبـر والاحتساب والرضى والدعوة بالحسنى والصفح الجميل ، حتى يشتد العود ، وتقوى الشوكة ، وتعلو الراية ، أما الجهاد بالنفس والقتال فتلك أمور لها أحكامها وضوابطها في شريعة الله تعالى، يقررها أرباب العلم ، ويفتي بها أهل الذكر ، ويدعو إليها أئمة المسلمين . . ولذلك فإن الفتية أصحاب الكهف حينما تشربت نفوسهم بالإيمان ، وتعلقت قلوبهم بالتوحيد ، لم يتعاهدوا فيما

بينهم على الإغارة على بني قومهم ، أو احتساب الأجر في قتل أولئك الكفار ، ولو طلب منهم ذلك لبادروا إليه ، ولكن الله زادهم هدى وربط على قلوبهم ، فماذا فعلوا ؟!! ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** ﴾ . [الكهف : ١٦] ، وذلك لأنهم فتية قليل ، ونخبة محدودة ، وقومهم قد ضرب الكفر فيهم أطنابه ، وأقام بنيانه ، ومجرد التصريح أمام قومهم بالمعتقد سيكون مصيرهم القتل والمحق والإبادة .

إن المسألة ليست مغامرات ، ولا تضحيات ، ولا استعراض بطولات ، بل قد تكون البطولة والرجولة في الإحجام أحياناً وليست في الإقدام ؛ « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . [أخرجه البخاري ومسلم]

إن مثل هذه التصرفات لا تدل إلا على الإفلاس ، وقلة الصبر ، وضعف العزائم ، وقصر النظر . . وإننا لسنا بأغير من الله على شرعه ، أو بأعلم منه بما يجري ، أو بأرحم منه بالبشرية ، فهو القائل : ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ ، وهو القائل : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾ ، وهو القائل : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ .

إن نصرة الدين ، ورفعة الحق ، وعزة الشريعة ، هي بامتثال روح القرآن ، والمضي على منهاجه ، والاقتداء بإمام العلماء ، وسيد الدعاة ، وهادي البشرية ، ومتى كان السير على ذينك النورين المبينين ، فسوف تحصد أجمل الثمار ، وتجنى أطيب

الأزهار ، وتنال أفضل الأُكُل .

أما الإرهاب فحصاده مر ، وثماره علقم ، وأكله زقوم ، إنه يثمر لا محالة ، ولكن ماذا يفيد زارعه إذا بطل جهده .. وأحيط بثمره وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيه وهو خاوٍ على عروشه ويقول يا ليتني لم أمض في طريقي هذا أبداً ، ولم تكن له فئة ينصرونه ، ولا قرناء ينفعونه ، ولا عقلاء يؤيدونه ..

إن الإرهاب يحصد الأرواح ، ويجتث الأنفس ، ويورث الحسرة ، ويوجب الندامة ، ويرهق الأمة ، ويبدد المكاسب ، ويحجِّر الخير ، ويستثير النفوس ، ويزرع البغضاء ، وينثر الشقاء .. إنه يطوف على بساتين الدعوة والخير فتصبح كالصريم ، حتى إذا تنادى أربابه مصبحين ، وغدوا على حرد قادرين ، نظروا إلى آثار الإرهاب ، فقالوا إنا لضالون ، بل نحن محرومون ، أهكذا تحطمت المكاسب ، وأتلفت الأرواح ، وحصدت الأنفس !! ولكن يا للحسرة ويا لفوات الأوان ، آلآن وقد عصيتم من قبلٍ وكنتم عن النصح معرضين ، آلآن وقد أصبحت غراسكم هشيماً تذروه الرياح ، وجذاذاً مزقه السلاح .

إن الإرهاب سنوات عجاف شداد يأكلن ما قدمه المسلمون من أعمال الخير ، وما جمعوه من مكاسب الدعوة ، وما ادخروه من رصيد التأييد .

إن هذه الكلمات نداء إلى كل مسلم ، وهتاف إلى كل مؤمن ، إلى كل من يحب الدين ، ويسعى للخير ، ويتطلع للإصلاح ، بأن نبذل جهدنا ، ونشحذ هممنا لحرب الإرهاب ،

ودحض العنف ، ونسف الباطل ، والتحذير من الطيش ، والبيان للحق، والنصح للأمـة ، والكشف للغـمـة ، بالطرق القـويمة ، والأساليب السليمة ، والعلم والحكمة والبصيرة ، لا بالانفعالات والأهواء وردود الأفعال المتوترة .

إنها نفثات قلب محب للمسلمين أبعثها لكل من التبست عليـه الأمـور ، أو اخـتلطت به السـبل ، أو تسللت إلى عـقله الشبه، أو عبثت بفطرته الأهواء ، أن يتوب إلى ربه ، ويثوب إلى رشده ، فيحتكم للكتاب ، ويمتثل السنة ، ويسأل أهل الذكر ، ويكون مع الجماعة .. هذه جامعات الدنيا ، وهيئاتها العلمية ، تعج بآلاف العلمـاء ، والآلاف من الفـقـهـاء ، والآلاف من المحدثين، والآلاف من الدعاة ، فهل اجتمع هؤلاء على ضلالة ، وهل اتفق هؤلاء على باطل ، وهل خـانوا جـمـيـعـهـم الدين ، وخذلوا الحق، وعصوا الله ورسوله!! فلماذا إذاً يُترك إجماعهم ، ويُخرق صفهم ، ويُتعلق بأذيال أناس ما عُرِف لهم قدم صدق في العلم ، أو علو كعب في الفقه؟ .

إن مجالات نصرة الدين كثيرة ، وإن سبل نفع الأمة وفيرة ، وإن أبواب الخير عديدة، وإن ميادين الجهاد عظيمة ، وإن فنون الدعوة للحق كبيرة ، فلنسلك تلك السبل التي تنفع ولا تضر ، وتعز ولا تذل ، وتبني ولا تهدم ، وتُكرّم ولا تُجرّم .. ﴿ **لَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ . [البقرة : ١٨٩]

إن ما نراه اليوم من أعمال مفزعة ، وتهورات مرهبة ، سواء

ما يحدث خارج بلاد المسلمين فيستهدف الأبرياء ويعود بلاؤه على المسلمين ، أو ما يحدث داخل البلاد المسلمة ، فلا يُراعى دين ، ولا تُحترم مثل ، كالذي حدث في الرياض وغيرها ، إنها جميعاً لها حصاد مرّ ، وثمار بغيضة ، وآثار خبيثة ، وسموم مميتة ، وسلبيات أليمة ، وسوف نذكر جزءاً من تلك السلبيات المؤلمة ، وطرفاً من ذاك الحصاد النكد :

١ - المخالفة لروح الدين :

الأعمال الإرهابية مُخَاصَمَةٌ لروح الدين ، مُناهَضَةٌ لروعة الإسلام ، مصادَمَة لمعاني القرآن ، وذلك يتجلى في أمور كثيرة من أهمهما أنها عصيان لله ورسوله في أمره بطاعة ولاة الأمر ، والبعد عن الفرقة ، والتحذير من الفتنة ، كما سيأتي معنا مفصلاً .

ومن مخالفاتها لروح الدين أنها مصادمة لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وإذا كان الله تعالى نهى المسلم أن يودي بنفسه إلى التهلكة فما بالك بعمل يلقى فيه بالأمة جميعاً إلى التهلكة ، يعرض المسلمين للمتالف ، ويوقعهم في الفتن ، ويشعل عليهم الحروب ، ويجرعهم الأذى .

ومن مخالفاتها أن هذا الدين جاء لإعلاء كلمة لا إله إلا الله ، وتحقيق مفهومها في حياة الناس ، والذين يدعون الجهاد والتضحية من أجل نصرة لا إله إلا الله يجب عليهم أولاً أن يحكموا معنى لا إله إلا الله في حياتهم .. إن لا إله إلا الله معناها شريعة الله ، معناها الرضا بحكمه ، والسير على مراده ،

وتلك الأعمال والتصرفات مخالفة لذلك ، فهي إذاً هدم لمعاني لا إله إلا الله .

ومن الأمور التي تتصادم فيها هذه الأعمال مع روح الشريعة : مخالفة المنهج الدعوي الرباني حيث يقول تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل : ١٢٥] ، فليس هنالك أروع منهاجاً ، ولا أسمح أسلوباً، ولا أندى لطفاً من هذه المعاني الجميلة في الآية ، فهل في مثل تلك الأعمال التخريبية ذرة واحدة من حكمة ، أو همسة من موعظة حسنة ، أو مجادلة بالتي هي أحسن؟ . . إنها إذاً مخالفة لروح المعاني الإلهية ، والتي منها أيضاً قوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ . [فصلت : ٣٥]

ولأهمية الحكمة في الدعوة إلى الله ، ولعظيم شأنها ، ورفيع أمره ، نتلبث معها قليلاً ، ونزيد أمرها تفصيلاً :

يقول ﷺ : « فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي . . » [أخرجه البخاري ومسلم] ، فانظر بماذا ملىء قلبه ﷺ قبل الإيمان . . بالحكمة ؛ لأنها طريق بث هذا الإيمان ،

وسبيل نشر الحق ، وأساس قبول الخير .

وحينما أراد ﷺ أن يقدم هدية زكية لابن عمه عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ضمه إلى صدره ، ثم قال : « اللهم علمه الحكمة » . [أخرجه البخاري]

لقد سار ﷺ على منهاج ربه ، وامتثل أمر خالقه .. والحكمة هي الإصابة في الأقوال والأفعال ووضع كل شيء في موضعه .

لقد مضى ﷺ في دعوته النقية الزكية في ثوب من الحكمة ، وأسلوب من الرفق، وفيض من الرحمة ، ونور من البصيرة ، ممتثلاً قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ .

[يوسف : ١٠٨]

ويقول تعالى : ﴿ **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ .

[البقرة : ٢٦٩]

وقد زخرت كتب العلماء وأقوال الفقهاء بالحديث عن الحكمة وبيان منزلتها ، وفلاح أربابها ، ورفعة أصحابها ، وقد ذكروا لها أركاناً رئيسية لا تقوم إلا بها ، ولا تحصل إلا معها ، وهي ثلاثة أركان :

١ - **الركن الأول وهو العلم** : والمقصود به العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وهو العلم بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته ، والعلم بما أخبر به وما أمر به تعالى ، وهو العلم النافع النير المصحوب بالعمل المقترن بالتطبيق .

والعلم هو تركة الأنبياء ، وميراث الحكماء ، وهو حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض العقول ، ولذة الأرواح ، ودليل الحائرين ، وميزان الأعمال، وأساس الحكمة ، وطريق البصيرة ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ . [الزمر : ٩]

٢ - **الركن الثاني وهو الحلم** : وهو ضبط النفس عند هيجان الغضب ، وهو من أسماء الله تعالى ، فهو الحليم ، وهو خُلُق الأنبياء ، وصفة العظماء ، وعنوان الأتقياء ، وإن من الدعاة إلى الله تعالى من يعظم أثرهم حينما يحسن تميزهم بالحلم ، وتحليهم بالعفو ، وسيرهم بالإحسان ، والحلم والعفو والصفح والتجاوز والرفق واللين ، فهي أساس في نجاح الدعوة، وأركان في تحقيق الحكمة ، وقد أمر بها الله تعالى في آيات كثيرة .. ومن ذلك قوله : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، وهذه الآية هي أجمع آية لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت : ٣٨] ، فهل بعد هذا من حكمة ، وفوقه من بصيره؟ .

٣ - **الركن الثالث وهو الأناة** : وهي التثبت والتبين ، والتأمل والتبصر وعدم العجلة ، وهي مظهر من مظاهر الصبر ، وهي سمة ذوي الألباب ، وصفة أصحاب الرزانة الذين لا يستخفهم الطيش ، ولا تقودهم الرعونة ، ولا يستفزهم الباطل ، وهي ضبط انفعالات النفس ، ولجم تهورات الفكر،

والمتأمل لكثير من الحوادث والكوارث والويلات والنكبات التي تحل بالدعوة أو الدعاة ، سواء الفردية أو الجماعية أو الدولية يجد أن سببها الأول عدم الأناة ، وقلة التبصر ، وفقدان الصبر ، والعجلة غالباً لا تورث إلا الخطأ ، والإخفاق، والتعثر ، والارتباك ، والتأخر ، والتقهقر .

وقد امتدح ﷺ أشج عبد القيس بالحلم والأناة فقال له: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة» . [أخرجه مسلم]

لقد كان ﷺ يفوح لطفاً ، ويتدفق رفقاً ، ويفيض رحمة، بل لقد عاتبه ربه جل وعلا في شدة رحمته وحرصه وشفقته على الناس كي يكونوا مؤمنين ، كان يتألم أسى، ويتمزق لوعة، حينما يرى الناس يعرضون عن الهدى ، ويتنكبون الصراط ، حتى لتكاد روحه أن تزهق ، ونفسه أن تذهب ، فيناجيه جل وعلا : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[الكهف : ٦] ويقول تعالى : ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ [فاطر : ٨]

لقد تطيبت الدنيا بأريج أخلاقه ، وتعطرت الحياة بجميل آدابه ، وتزين التاريخ بعظيم صفاته .

يكفيك عن كل مدح مدح خالقه
واقرأ بربك مبدا سورة القلم
شهم تشيد به الدنيا برمتها
على المنائر من عرب ومن عجم

أحـــيـــا بك الله أرواحـــاً قـــد اندثرت
فـي تـربـة الـوهـم بـين الـكـأس والـصـنـم
نفـضـت عنهـا غـبـار الذل فـاتقـدت
وأبـدعـت وروت مـــــــا قـلـت لـلأمم
مـــحـــــابر وســـــجـــــلات وأنـدية
وأحـــــرف وقـــــواف كـن فـي صـــــمـم
من نـهـرك العـذب يا خـيـر الورى اغـترفـوا
أنـت الإمـــــام لأهـل الـفـــــضـل كـلـهـم

وهكذا حـمـل الصـحـابة رضـوان الله عليـهـم ذاك المنهـاج الأكـمـل ، ومـضـوا على ذاك الطريق الأجـمـل ، فكانوا مـصـابيح إيمان ، وكـواكـب إحـسـان ، ونجـوم هداية ، فـتـربعـوا على عـرش المجد ، وهيـمنوا على ذاكـرة التـاريخ ، وأشاد بهم الدهر ، وصـفق لهـم الزمـان ، وحـيّـتـهـم الأرواح ، وفدتـهـم المهج ، واسـتـقـبلتـهـم القـلـوب ، فـكـانوا رحـــمـــة للأمم ، وهـداية للـورى ، ونصـــرة للضـعـيف ، وعـوناً للفـقـيـر ، وتمزيقاً للشـرك ، ورفعاً للتـوحـيـد ، ومنارات للهدى .

هوى عـرش كسرى وانقـضى ملك قيصـر
ونادى منادي الحق في الحـضـر والبـادي
وكـم رايـة في الصين والهـنـد تعـــتـلي
تحـدث عن أحـفـاد سـعـد ومـقـداد
أنـرنـا ظـلام الـكـون بـالـعـلـم والهـــــدى
وحـــسـن النـهـى في ظـل علـم وإرشـــاد

ســـرى عطرنا في الأرض واهتـــزّت الربا
على نغـــمـــات الحق من خـــيـــر ورّاد
سلوا كل بحـــــر عن عـــلانا ويابسٍ
سلوا السـهل والصـحـراء والتل والوادي
سلوا المغـرب الأقـصى وأزهار فـارسٍ
وأنـهـــــار أوروبـا وآثـار بـغـــــداد
مـــغـــاوير نأبى الذل والضـــيم والخنا
ويُـنْبَـــــذُ من ديوانـنـا كـلُّ شـــــراد
منـائرنـا في كـل صـــــقـع وصـــــوتـنـا
تـردده الأرجـــاء رغـــمـــاً لأضـــداد
مـسـاجـدنا تسـمـو بهـدي وحكـمـة
وفـي كـل يـوم فـــــــيـض حـب ورواد

وهكذا مضى أئمة الإسلام ، وفقهاء الملة ، وأتباع السنة، على النهج السديد ، والمعتقد الرشيد ، فحفظ الله بهم الدين ، ورحم بهم المسلمين ، وجمع بهم الكلمة ، ورفع بهم لواء الحق.

وحينما ضلّت فرق الطريق ، وتنكبت جماعات الصراط، فزاغت أفكارها ، وطاشت آراؤها ، فتنطعت وتزمتت وتشددت وكفَّرت وحاربت وقاتلت ، ودمرت وسفكت ، وقف لها علماء الحق ، وصمد لها ولاة الدين ، ومحقها جموع المسلمين ، فباءت بالإثم ، وعادت بالإخفاق ، ومنيت بالخيبة .

وهكذا كل من حـاد عن الصـراط المسـتـقـيم ، وتنكب المنهاج القويم ، فتحول من رحمة إلى نقمة ، ومن هاد إلى مضل،

ومن داع إلى منفـر ، ومن مـحـسن إلى مـسيء ، هكذا يكون عاقبته الخسران ، ونتيجته النكران ، ومآله الخيبة ، ونهايته الضياع ، ومصيره الشقاء ، والتاريخ خير شاهد على ذلك .

وإن ما نراه في بعض الناس من غلو في الدين ، وتنطع في المنهج ، وتزمت في الإسـلام ، وشطط في الأفكار ، ونزق في العقول ، وطيش في الآراء ، وتهور في التصرفات، وتهوك في الأفعال ، ومخاطر في الأعمال ، وتكفير للناس ، وشذوذ عن الجماعة ، وشق لعصا الطاعة ، ونبش لأسباب الفرقة ، وتصيد للعثرات ، وتشهير بالأخطاء ، واستحلال للغيبة، وتضليل للعلماء ، ونيل من الفقهاء ، واتهام للمصلين ، كل هذه الصفات المقيتة ، والسمات المخيفة ، ما هي إلا سير في أودية الغي ، وتذكير بأسلاف الضلال ، ومضي على نهج الخوارج ، وتشبه بجماعات الردى .

إن الإصلاح لا يكون بالإفساد ، والحق لا يؤخذ بالظلم ، والعدل لا يوصل إليه بالجور ، والحلال لا يدرك بالحرام ، والغاية لا تسوغ الوسيلة .

ومن مخالفات الأعمال الإرهابية لروح القرآن أنها تصادم قوله تعالى عن دعوة إبراهيم : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، فالله تعالى قد استجاب دعوات إبراهيم المباركات التي منها دعوته بأن يبعث الله فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، فاستجاب الله تلك الدعوة التي لا زلنا نعيش في

ظلالها ، ونشتم عبيرها ، وننعم برغدها ، وهي بعثة محمد ﷺ وقد استجاب الله تعالى دعوته أيضاً بأن جعل هذا البلد آمناً، فمن يقوم بمثل تلك الأعمال في هذا البلد فهو يصادم مراد الله تعالى ومحبوبه ، وهو تعالى يقول أيضاً : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٧] ، فكيف تكون هذه المنة إذا أصبحنا خائفين قلقين نتخطف من بيننا ومن أنفسنا .

٢ - أنها شق لعصا الطاعة وحرب على الجماعة :

وسوف أفصل القول في هذه المسألة بعض الشيء لأنها أم المسائل في هذا الباب مع علمي أنها سوف تحْمرّ أنوف ، وتكفهر وجوه ، وتنتفخ أوداج من الذين في قلوبهم مرض، وفي صدورهم حرج ، وفي أفكارهم عوج ، وفي أعمالهم هوج ، وسوف يقولون، وهل قضيتنا اليوم هي في طاعة ولاة الأمر ، وهل مصيبة المسلمين هي في عدم الطاعة والخضوع لحكامهم ، وما إلى ذلك من تعبيرات تنبئ عن دخائل ، ومقولات تحدث عن دغائل ، وهي ضرب من الجهل بضرورة هذا الأمر ، وخطورة ذلك المسلك كما سيأتي بيانه . .

إننا لا نؤكد الحديث ، ونكرر التأكيد في هذه القضية من أجل الأشخاص لذواتهم، بل إننا ندعو إلى تمثلها والالتزام بها حتى مع الذين لا يُحبُّون ، بل حتى مع غير المسلمين من الولاة، ولا يدفعنا إلى هذه المسألة تزلف أو تملق أو مداهنة ، وإنما لما يترتب عليها ، فهي رأس وبقية المسائل جسد ، فلا قيمة لجسد بلا رأس .

إن مما يؤسف له أنك قد تجد بعض طلبة العلم الذين لهم باع جيد ، ومعرفة طيبة بمسائل العقيدة ، ونصوص الشريعة ، ومع ذلك حينما يأتون إلى هذا الأمر كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ، وكأنهم في جهلهم يعمهون ، يتلكؤون في الحديث ، ويراوغون في المسألة ، وقد يكون لهم رأي في الظاهر ، ومعتقد في الباطن ، فيقولون ما لا يفعلون ، ويصرحون بما لا يعتقدون، وهؤلاء وإن كانوا قلة من الناس إلا أن مثل هذا التوجه سبب أكبر في ضياع كثير من الشباب الغض الذين يتكئون على تلك الفئام فيما يذهبون إليه .

إن أئمتنا الأجلاء الذين شرفنا بالجلوس إليهم لم نجرّب عليهم أبداً كلاماً في الظاهر يخالفه كلام في الباطن ، بل ما في صدورهم هو على ألسنتهم في سرهم وعلانيتهم ، وقد كانوا رحمهم الله يؤكدون أشد التأكيد على هذه المسألة ، بل وتجدهم يكثرون الحديث عنها بمناسبة وبغير مناسبة ، وكل ذلك لبعد نظرهم ، وثاقب بصيرتهم ، وإدراكهم لخطورة المخالفة ، وعاقبة المنابذة ، وضرورة الطاعة ، والحرص على الجماعة ، وهذا عرض سريع لهذه المسألة بأدلتها البينة، وشواهدها الباهرة ، علماً أنني قد أطلت الحديث حول هذا الأمر في كتابي المطبوع بعنوان (بين الولاة والدعاة) وأنا أعيد الحديث هنا مع بعض الأضافات الهامة ، والنصوص النافعة ، وما توفيقي إلا بالله ..

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ**

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ . [النساء : ٥٩]

إن سعادة البشرية وفلاح الإنسانية هو في إيمانها بربها ، واتباعها لنبيها ﷺ ، وطاعتها لمن ولاه الله أمرها ، وإن طاعة ولاة الأمور ثمرة للإيمان بالله ورسوله ، بل هي طريق لأداء الطاعة ، ورعاية الدين ، وعلو الإسلام ، إذ الأمة المتشتتة المتناحرة المتنافرة المتدابرة لا يرجى منها خير ، ولا يؤمل لها في قوة ، ولا تصان لها كرامة ، ولا ترقى لها عزة.

إن القوة والرفعة والمكانة هي في وحدة الصف ، وائتلاف القلوب ، وتكاتف المؤمنين ، وذلك كله لا ترتفع أعلامه ، ولا يضبط زمامه إلا بإمام يقوده ، وقائد يتولاه .

ولقد جاء الأمر في كتاب الله بطاعة أولي الأمر ، والتحذير من الفرقة ، والتخويف من التنازع والخلاف ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ . [الأنفال : ٤٦]

كما بين رسول ﷺ المنهج الأسمى في طاعة أولي الأمر وعدم الخروج عليهم ، أو المفارقة لهم ، ولم يشترط لتلك الطاعة أن يكونوا مبرئين من العيوب ، خالين من الذنوب ، بل أخبر بما سيأتي على الناس بعد من متغيرات ، وحذر من نزع يد الطاعة مهما بلغ الأمر ، أو ظلم الوالي ، أو جار القائد ؛ لأن ضرر العصيان أكبر ، وأمر الفرقة أخطر ، وإليك هذه الباقة العاطرة من أحاديثه ﷺ في هذا الباب. يقول ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » . [أخرجه البخاري ومسلم]

ويقول ﷺ : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » ، قالوا يا رسول الله : كيف تأمر من أدرك منا ذلك . قال : « تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم » .
[أخرجه البخاري ومسلم]

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : « دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » . [أخرجه مسلم]

هذا المنهج الذي رسمه المصطفى ﷺ سار عليه أئمة السلف ، وعلماء الإسلام ، وفقهاء الملة ، فلم يحيدوا عنه أو يخرجوا عن نهجه ، رغم ما مر بكثير منهم من الفتن ، وما عاشوه من ظلم وقهر وضلال وفجور في بعض الدول التي عاصروها ، ولكنهم ببعد نظرهم وحكمتهم وفهمهم لمقاصد الشريعة امتثلوا الأمر ، ودعوا للوحدة ، وحذروا من الفرقة ، وأداموا السمع والطاعة لما يترتب عليها من المصالح الكبيرة مهما كان من ظلم الراعي أو فسقه ، يقول الإمام سهل التستري – رحمه الله – : « لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فإن عظموا هذين أصلح الله لهم دنياهم وأخراهم ، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم » .

ويقول الإمام الطحاوي – رحمه الله – : « ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع

يداً من طاعتهم» .

قال الإمام الحسن بن علي البربهاري – رحمه الله – في كتاب «السنة» : «إذا رأيت الرجل يدعو على السطان ؛ فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح ؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى» .

يقول الفضيل بن عياض : «لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان» .

قال الإمام عبد الله بن المبارك :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا
منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة
في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يقول : «وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور ، وغشهم ، والخروج عليهم بوجه من الوجوه ، كما قد عُرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً ، ومن سيرة غيرهم» .

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على وجوب الطاعة ، بل ويجلي حقيقة بينة ، وسنة جلية رأيناها

على مر العصور ، وهي أن مثل هذه التصرفات المندفعة من حمل للسلاح ، وخروج على الولاة ، وقيام في وجه الدول حتى ولو كانت مغضبة لله فإنها جميعاً تكون ندامة على أصحابها ، والخاسر فيها هو من قام بها ، فيقول : « ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته » .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : « الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلّب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا ، لأن الناس من زمن طويل ، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ، ما اجتمعوا على إمام واحد ، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم » .

وهكذا مضى علماء الإسلام على مر العصور ، وكان من أكثر الناس حديثاً عن هذه المسألة وبياناً لها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – الذي كان يحذر دائماً وأبداً من تصرفات موتورة ، وأفكار خاطئة في هذا الشأن ، ويفتي مراراً أنه لا يجوز نزع يد من طاعة أو الخروج على ولاة الأمور لما في ذلك من الفساد الكبير واختلال الأمن وضياع الحقوق ، بل سئل – رحمه الله – عن الحاكم الذي يسن القوانين الوضعية ويعمل بها ويأمر بها كيف يكون التعامل معه ، فقال – رحمه الله – : « نطيعه في المعروف وليس في المعصية حتى يأتي الله بالبديل » ،

ولذلك كـان – رحـمـه الله – من أعظم المناضـلين عن هـذه الدولـة والمنابذين عنها ، وقد ذكرت من ذلك كلاماً كثيراً في كتابي (بين الولاة والدعاة) .

يقـول – رحـمـه الله – : (وهذه الدولة السـعـودية دولة مباركة نصر الله بها الحق ، ونصر بها الدين ، جمع بها الكلمة ، وقضى بها على أسباب الفساد ، وأمن الله بها البلاد ، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله، وليست معصومة ، وليست كاملة ، كلٌّ فيه نقص ، فالواجب التعاون معها على إكمال النقص ، وعلى إزالة النقص ، وعلى سد الخلل بالتناصح والتواصي بالحق والمكاتبة الصالحة ، والزيارة الصالحة ، لا بنشر الشر والكذب ، ولا بنقل ما يقال من الباطل ؛ بل يجب على من أراد الحق أن يبين الحق ويدعو إليه ، وأن يسعى في إزالة النقص بالطرق السليمة وبالطرق الطيبة، وبالتناصح والتواصي بالحق، هكذا كان طريق المؤمنين ، وهكذا حكم الإسلام ، وهكذا طريق من يريد الخير لهذه الأمة ، أن يبين الخير والحق ، وأن يدعو إليه ، وأن يتعاون مع ولاة الأمور في إزالة النقص، وإزالة الخلل، هكذا أوصى الله جل وعلا بقوله سبحانه : **﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾**) . [المائدة : ٢]

ويزيد هـذا الأمر بياناً أكثر ، وتوضيحاً أقوى حينما سئل – رحمه الله – السؤال الآتي : سماحة الشيخ ، هناك من يرى أن اقتراف بعض الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج

عليهم ، ومحاولة التغيير ، وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد ، والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة ، فما رأي سماحتكم؟ .

فأجاب – رحمه الله – : (قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ . [النساء : ٥٩]

فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر ، وهم الأمراء والعلماء ، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة ، وهي فريضة في المعروف .

والنصوص من السنة تبين المعنى ، وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم بالمعروف ، فيجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي ، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية ، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها لقوله ﷺ : « ألا من وَلِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنَّ يداً من طاعة » [أخرجه ومسلم] ، و« مَن خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » [أخرجه البخاري ومسلم] . وقال ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . [أخرجه البخاري ومسلم]

وسأله الصحابي – لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم

وتنكرون – قالوا : فما تأمرنا؟ قال : « أدُّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم » . [أخرجه البخاري ومسلم]

قال عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله » ، وقال : « إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » .

فهذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان ، وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يُسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً ، فيختل به الأمن ، وتضيع الحقوق ، ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصر المظلوم ، وتختل السبل ولا تأمن ، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير ، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان ، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة ، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا ، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة ، والقاعدة الشرعية المجمع عليها : (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه ، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه) ، وأما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين ، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً وعندهم قدرة تزيله بها وتضع إماماً صالحاً طيّباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين ، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا

بأس ، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن وظلم الناس ، واغتيال من لا يستحق الاغتيال ، إلى غير هذا من الفساد العظيم ، فهذا لا يجوز ، بل يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ، ومناصحة ولاة الأمور ، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير ، هذا هو الطريق السويّ الذي يجب أن يسلك ؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة ، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير ؛ ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر ، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية) آهـ .

إن المتأمل لتأكيدات القرآن الكريم ، ولأحاديث النبي ﷺ في هذه المسألة ولكلام العلماء فيها يدرك روعة هذه الشريعة ، وعميق فقهها ، وعظيم جوهرها وفحواها ، وإن سبر أغوار الشريعة ومعرفة أبعاد هذه المسألة وفهم نصوص الكتاب والسنة، وقراءة مناهج علماء السلف ، والوقوف على مواقفهم في هذه القضية ، لهو مطلب أهم ، ومقصد أجل لتحقيق مراد الشارع ، وصفاء المنهج ، ونشر الإسلام من جهة ، ولحقن دماء الأمة ، وحفظ أمانها وإيمانها، وصيانة أبنائها من جهة ، ولقطع الطريق على أعداء الإسلام وسدنة الكفر ورواد الرذيلة من جهة .

إن كثيراً من النوازل والنكبات التي حلت بأمة الإسلام ، سواء فيما بين أبنائها أو فيما بينها وبين غيرها ، يرجع إلى خلط الأمور ، وغبش التصور، وتهور الأفكار في هذه القضية البالغة الخطورة .

وإن تعثر مسيرة الدعوة ، وتأخر قافلة الشريعة في كثير من البلدان هو أيضاً نتيجة لعدم فهم روح الشريعة وأصول التعامل في هذه المسألة .

وإن من واجب العلمـاء وطلبـة العلم ، من ذوي الحكمـة والبصيرة ، أن يُجَلّوا هذه الأمور ويكشفوا مكنونها ، ويوضحوا غامضها ، ويشرحوا أبعادها ، وإن التهاون في ذلك هو تهاون بمصير الدين ، وبأرواح المسلمين، وبأمن الأوطان .

إن الغيرة ، والغضبة ، والحمية ، والإنكار ، والتمعّر لأجل الله تعالى كل ذلك صفات محمودة ، وسمات ممدوحة إذا كانت بضوابطها الشرعية، وحدودها الإيمانية ، أما إذا زادت عن ذلك ، وتخطت الحدود ، وجاوزت الحواجز ، وتفلتت من الأطر، فإنها تصبح نقمةً وعذاباً ، وأسى ولوعة .

إن على الدعاة إلى الله بذل النصح ، وإخلاص القصد ، والحرص على الخير ، أما الهداية فهي بيد الله تعالى ، وأما النتائج فلسيت مسؤوليتهم ، ﴿ **إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ** ﴾ ، ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ ، ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ ، ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ .

وأختم هذه النصوص الجلية ، والأدلة الواضحة في مسألة طاعة ولاة الأمور بهذا المقطع المشرق ، والكلام النفيس ، للفقيه الزاهد ، والإمام العابد ، الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – الذي بين من خلاله كيف كان مصدر علماء السلف ، وفقهاء

الملة ، من مشكاة واحدة ، فيقول – رحمه الله – : « فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان ، وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس ، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور ، فهذا عين المفسدة ، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس ، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى ، وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء ، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها ، فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ، ضاع الشرع والأمن ؛ لأن الناس إذا تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم ، وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم ، وحصل الشر والفساد ، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان ، وأن يضبط الإنسان نفسه ، وأن يعرف العواقب ، وليعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام ، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال ، بل العبرة بالحكمة » .

جرى في دمائى سائغ الشوق والهوى
ومسك السجايا عابق في معيتي
فؤادي لحسن الظن والعفو مرتع
وميلي لأرباب القلوب التقية
وتأبى علي الخوض في عرض مسلم
حروف تباهي بالدروب العلية
على سنة المختار تمضي عزائمي
ومن روعة القرآن فحوى وصيتي

أبث عـــبـــيـــر العلم في كل مـــوطن
على منهج يســـمـــو بحـــسن الروية
رحـيق الهـدى يروي نفـوسـاً صـواديا
وأركـــانه إخـــلاص حـــبي ونيـــتي
وأسـمـو عن التـجـريح والعنف والهـوى
وأنبـــو عن التـــفـــريق والمذهبـــيـــة
فـــمـــا هذه في الناس إلا مـــعـــاول
تـهـــدم أركـــان الصـــروح القـــوية

٣ - أنها في مصلحة أعداء الإسلام :

من حصاد أعمال الإرهاب أنها تصب في صالح الكافرين ، وترضي أعداء الدين، وتفرح قلوب الحاقدين ، وتشمت الأعداء والحاسدين .

وإن هنالك من الناس من يظن أنه سيؤذي اليهود والنصارى أو يرغـمـهم بقـتل بعض رعـاياهم في كـثـيـر من البلدان ، وذلك تصور خاطئ ، فهو مع أنه اعتداء على أبرياء لا ذنب لهم ، ومع أنه يذهب ضحيته عدد من المسلمين والمعاهدين والمستأمنين ، ومع أنه تخويف وترويع للمسلمين ، فمع ذلك يصب في النهاية لمصلحة الأعداء ويخدم توجهاتهم .

يجب أن نعلم أنه مـهـمـا حـزن الأعـداء المتـربصـون على ضـحـاياهم فـإنهم يسـرون بهـذه الأعـمـال ، ويفـرحـون بتلك الأهوال، لتحقيق مصالح كبرى ، ومطامح أخرى ، ومن أهمها ما يلي :

أ – إيجـاد التـسـويغـات لهـم في حـروبهم على الإرهاب كـمـا يدعـون ، فـهـذه الأعـمـال تسوغ أعـمـالهـم ، وتيسر طرقـهـم، وتستدعي فلولهم ، وتمهد لهجومهم .

ب – كسر شوكة المسلمين ، والفرح بضعضعة الموحدين ، وتفريق كلمة المجتمعين ، فينشغل المسلمون بعضهم ببعض، وتستنفد قوتهم فيما بينهم .

ج – جني الأموال الطائلة ، والتعويضات الهائلة ، التي تسحب من أمة الإسلام ، وتبتز من أيدي المؤمنين لتكون قوة للظالمين ، وعبئاً على الموحدين .

هو الله من كل الكبيرين أكبر
له القوة العظمى التي ليس تقهر
هو الله مهما اشتد للظلم ساعد
فإن له يوماً من الدهر يكسر
هو الله من يأوي إلى ظل عدله
يحلى بأفنان العطايا وينصر
هو الله من يقوى على رد بأسه
قوي عليّ أمره لا يؤخر
يمرّغ أنف البغي مهما تبجحت
مقولاته أو قام يزهو ويفخر
تصاريفه في صفحة الكون جمة
وآياته في الأرض تطوى وتنشر
فويل لمن يستمرئ الظلم إنه
غمام على هاماتهم سوف يمطر

لقـــد غـــرَّ عـــاداً قـــوة في عـــتـــادها
فطارت بهـــا ريح من الله صـــرصـــر

د – تأكيد تشويه الإسلام في نظر العالم والتنفير منه ، مع العلم أن الحفاظ على سمعة الدين والتفاني في كسب تأييد العالمين مطلب شرعي أجل ، فهذا محمد ﷺ لم يقبل بقتل رجل من كبار المنافقين ، ومن أخطر أعداء الدين معللاً ذلك بقوله : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي » . [أخرجه مسلم]

وها هو ﷺ يترك نقض الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم خوفاً مما سيسفر عنه ذلك من تشويش وتحريش ؛ لأن الناس حديثو عهد بكفر .

بل إن الله تعالى ينهى عن مجرد سب الكفار إذا كان سيسفر ذلك عن سب لجنابه ، وتعد على جلاله ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ . [الأنعام : ١٠٨]

أما التنفير فقد غضب ﷺ غضباً شديداً من أحد أصحابه لمجرد أنه أطال في الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام ، كل ذلك خوفاً منه ﷺ على تنفير الناس من الدين ، فيقول : « أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليخفف » [أخرجه البخاري ومسلم] ، وكان ﷺ يهتف بالناس : « أيها الناس يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » [أخرجه البخاري ومسلم] . . « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » [أخرجه البخاري ومسلم] . . فكيف بهذا

التنفير المقيت ، والتشويه البشع للإسلام وأهله .

وبعضهم سار نحو الدين فالتبست
عليه بعض القضايا دون تبصير
وبات نهباً لأفكار مروجةٍ
لفتنة وانقسامات وتكفير
وسار في مهمه مضن متالفه
أودت به في متاهات وتحيير
وظن أن طريق العنف مجلبة
لكل خير وإصلاحٍ وتغيير
هذا هو المصطفى كم عاش مضطهداً
وصحبه بين تقتيل وتعزير
دعا إلى الصبر لم يودي بدعوته
لنقمة بإخافات وتدمير
نهى عن العنف لم يقبل به ودعا
لفيض لطف وإحسان وتيسير
بل إن فرعون أطغى الناس قابله
موسى بلين وإقناع وتذكير
والرفق إن كان في أمر يزينه
وما من العنف إلا كل تنفير
يعرقل السير سيراً للدعاة إلى
بثّ الهدى وانتشار الفضل والنور
ويخطف الراية البيضاء من يدنا
بمكرهم أهل تهويد وتنصير

أمـا القـيـام بأعـمـال الإرهاب في هذه البـلاد على وجـه الخصوص فهو مما يتمنون حدوثه ، ويترقبون وقوعه ، ويستغلون حـصـوله لتـحـقـيق المآرب ، ونيل المطالب ، من زلزلة الأمن ، وخلخلة الصف ، وضعضعة القوة .

إن الذين يكرهون الإسلام ويسوءهم انتشاره ، ويتمنون زواله يعلمون أن هذه البلاد هي مناره الأول ، وقبلته الأساس ، وداعمه القوي ، وحارسه اليقظ . .

إن هذه البـلاد مـحط آمـال المسلمين ، ومـهـوى أفـئـدة الموحدين . . إن عزها عز للدين وأهله ، وذلها ذل للدين وأهله ، إنهم يشرقون كـمداً ، ويطفحون غيظاً ، لما تقوم به هذه البلاد من الخير ، ولما تبذله من المعروف ، ولما تتبناه من القضايا ، فكان من الواجب أن نبذل جهدنا لعزها ، وأن نكشف عزمنا لأمنها ، وأن نوحد صوتنا خلف قادتها وعلمائها، وأن نتعاون معهم على الخير والهدى ، ونتآزر وإياهم لتلافي النقص ، وإصلاح الخطأ ، وتدارك الملاحظات بالصـــدق في البـــذل ، والإخـــلاص في المناصحة، والتشجيع على الخير ، ليزداد الذين آمنوا قوة ، ويزداد الذين كفروا غيظاً . . ما هي الفائدة إذا شققنا الصف ، وأحدثنا الفرقة، وزعزعنا الأمر ، وعثرنا مسيرة الخير ، ونفرنا الناس من الهـدى؟! أليـست هذه البـلاد صـاحـبـة العطاءات الجـمـيلة ، والأعمال المباركة ، والسمات الحميدة ؟! .

من نشر الإسلام في أنحاء الدنيا ؟ أليس هم دعاتها بدعم من ولاتها ؟ .

من بنى المساجد؟ من طبع المصحف وأتحف به الدنيا؟ من يحكم بالشريعة؟ من يسر نشر الكتاب والشريط النافع؟ من فتح المدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وشجع حفاظه؟ من فتح مكاتب الدعوة ؟ من أقام كيان هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ من أعطى الخطيب والعالم والإمام حريته؟ من فتح الكليات الشرعية والمدارس الإسلامية والمعاهد الإيمانية؟ من حمى حمى التوحيد ورفع مناره؟ من آزر الجهاد وأعلى شعاره؟ من أعان المسلمين في نكباتهم ، وأغاث الملهوفين في أزماتهم؟ من نافح عن حجاب المرأة وعفافها؟ من أقام لها كياناً تعليمياً خاصاً بها لا اختلاط فيه؟ من حفظ الأمن ومد رواقه؟ أليست مكاسب كبيرة ، الأولى الحفاظ عليها؟!! .

استمع إلى عالم الرفق والرحمة والحكمة والبصيرة ، العالم المقتفي لرسول الله ﷺ المقتدي بأولياء الله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – : « ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله عز وجل وتحكم شرعه ، فالواجب التعاون معها على الخير وعلى إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة والأسلوب الحسن مع الإخلاص لله سبحانه والصدق في العمل وعلاج الأوضاع المحتاجة إلى العلاج بالطرق الشرعية بحسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاة الأمور وفقهم الله بالمكاتبة والمشافهة وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم ، وهكذا يجب على الدعاة إلى الله سبحانه في جميع الدول أن يعالجوا الأوضاع المخالفة للشرع المطهر بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الحسن ، ويتعاونوا مع المسؤولين على الخير

ويتـواصـوا بالحق مع الرفق والتـعـاون مع الدولة بالحكمـة حـتى لا يؤذى الدعـاة ، وحـتى لا تعطل الدعـوة ، فـالحكمـة في الدعـوة بالأسلوب الحسن وبالتـعـاون على البـر والتـقـوى هي الطريق إلى إزالة المنكر أو تقليله وتخفيف الشر ، ومن أهم ذلك الدعوة إلى تحكيم الشـريعـة الإسـلامـيـة ، فـهـذا هو الطريق إلى العـلاج والإصـلاح ولو لم يحـصل المطلـوب كلـه لكن يحـصل بعض الخير والتجـاوب من الحكومة التي ينكرون عليـهـا فـيـقل الشر ويكثر الخير» أهـ. [كتاب : بين الولاة والدعاة للمؤلف]

إن العاقل هو الذي يحافظ على ما لديه من المكاسب ، ثم يسـعى لإضـافـة الأرباح وتقليل الخـسـائر ، وليس من العـقل أن يلقي الإنسان بمكاسبه ، ويتلف أرباحه ، ويسلك سبيل الخسارة أملاً في ربح وهمي يريده أن يتحقق دفعة واحدة .

إن مكاسب هذه الدولة كـبـيـرة وكـثـيـرة ، وإن خـيـرها على أربابهـا وعلى عـمـوم المسلمين لا ينكره إلا من عـمـيت عـينه ، وطمـست بصـيـرته ، وإن أعظم كـسب فـازت به ، وأجل شـرف تباهي به ، هو عـقـيـدة التوحـيـد ، وصـفـاء المنهج ، وتطبيق شرع الله ، أضف إلى ذلك الدعـــوة إلى الله ، والأمـــر بالمعـــروف ، وحـفـظ القـرآن ، والإحـســان إلى الناس ، وأداء العـبـادات بكل حـرية ، وصـيـانة الحـرمين من لوثات الشـرك ، والأمن والأمـان إلى غير ذلك من فيوض الخير ، وأنهار الفضل ، وبشائر النجاح .

ومع احترامنا لكل من يسعى لرفعة الأمة فإن هنالك أناساً يظنون جـهـلاً أنه يمكن العـودة بالحكام والشـعـوب إلى عـصـر

الصحابة أو أعلى درجة متناسين أن تلك المرتبة لم تصل إليها حتى القرون المفضلة ، بل إنه مر في التاريخ الإسلامي حكام وملوك ودول هي وصمات عار في تاريخ البشرية ، والعجيب أن الذين يريدون ذلك لم يستطيعوا أن يطبقوا هذه المقاييس على أنفسهم ، فأين منهم مُثُل القرآن ، وأين منهم أخلاق النبوة ، ورحمة المصطفى ﷺ ورفقه ، وأين منهم صدق أبي بكر ، وأين منهم عدل عمر لو لم يكن إلا مع إخوانهم الدعاة والعلماء ، وأين منهم عطاء عثمان ، أو زهد علي ، أو فقه الإمام أحمد ، أو علم ابن تيمية ، يجب أن نعلم أن هذه الدولة بالقياس إلى كثير من الدول السابقة ، والمقارنة لها مع العالم من حولها ، والذي كله يريد أن يجرها إلى الهاوية ؛ أنها خير كبير ، ومكسب عظيم يجب على كل مسلم أن يحافظ عليه ، فإن الحفاظ عليه حفاظ على الأمة ، ورعاية للتوحيد ، وحماية للعقيدة ، وصيانة للمقدسات ، مع الاجتهاد دائماً وأبداً للسعي للوصول إلى أجمل حال وأفضل مآل .

٤ - عرقلة مسيرة الدعوة :

من أسوأ ثمار أعمال الإرهاب أنها تعرقل مسيرة الدعوة، وتعثر دروب الخير ، فبعد أن كانت الدعوة للإسلام ، والمسيرة للإيمان ، تمضي في طريقها الوادع ، وتسير في أسلوبها الماتع ، ماذا حدث لها ولأربابها؟ بعد أن كانت الجمعيات الخيرية تملأ الدنيا ، وتسابق الضوء ، وتنافس الغيث ، ما الذي حل بها الآن وبأصحابها .. كم أقفل من مساجد؟ وكم أوقف من أئمة؟ وكم ألغي من معاهد؟ ، وكم أوقف من جمعية خيرية؟ وكم .. وكم؟!! .

يا عجباً لهؤلاء الناس الذين يظنون أنهم يخدمون الإسلام بهذه الأعمال ، وينفعون الدعوة بتلك الأهوال ، ويجاهدون في سبيل الله على تلك الأحوال !! إن ميادين البذل لهذا الدين لا حدود لها ، ومجالات العمل لصالح المسلمين لا منتهى لها، وصنوف الجهاد لنفع الأمة لا تنفد أسبابها ، أين هم من تعليم الجاهل؟ ونصح الغافل، وتوزيع الكتاب ، ونشر الشريط ، والدعوة للإسلام ، ونفع المسلمين، وإصلاح ذات البين، وتربية الأجيال ، وتحقيق التوحيد في حياة الناس ، وغزو القنوات الفضائية ، والحرب على الأفكار العدائية ، واستهداف الشعوب البدائية لدعوتها للخير ، وإغاثتها بالعلم؟ أين هم من الانخراط في الجمعيات الخيرية ، والهيئات الإغاثية ، التي تنفس الكروب، وتفرج الهموم ، وتغيث المعوزين ، طلباً للأجر من الله تعالى ، وسعياً لكسب القلوب ، وجذب النفوس ، والتحبيب في الدين، والترغيب للإسلام؟ من أراد أن يخدم الإسلام ، وأن يبذل في سبيل الله فليعمل كما يعمل الخيرون ، ويبذل كما يبذل الجادون ، ويجاهد كما يجاهد المحسنون ، **يالله ما أكبر الفرق بين مَنْ يبني ومَنْ يهدم ، ومن ينفع ومن يضر ، ومن يشيد ومن يدمر ، ويمن يعمر ومن يفجر ، ومن يحبب ومَنْ يبغض ، ومَنْ يبشر ومَنْ ينفر ، ومَنْ يصلح ومَنْ يفسد ، ومَنْ يسعف ومَنْ يتلف ، ومَنْ يطعم ومَنْ يحرم ، ومَنْ يسعد ومَنْ يُشقي ، ومَنْ يحيي ومَنْ يميت ، ومَنْ يجمع ومَنْ يفرّق ، ومَنْ يرحم ومَنْ يظلم ، شتان بينهما شتان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان .. وهيهات هيهات ، هذا ملح أجاجٌ وهذا عذب فرات .**

إن الأعمال الإرهابية التي يرتكبها بعض الناس – حتى التي يقومون بها في بلاد الكفر – أول من يتجرع علقمها ، ويشرق بشؤمها هم المسلمون ، أرادوا أن يؤذوا الأعداء فقام الأعداء بإيذائنا ، وانتقموا لأنفسهم منا ، وكسروا ظهرونا ، ودقوا نحورنا، وانتهكوا حرماتنا ، ووقفوا في طريق دعوتنا ، واستعدوا العالم علينا ، واستغلوا تلك الأحداث لتسويغ أعمالهم ، وإنفاذ مخططاتهم ، فارتكبوا أبشع الجرائم ، واقترفوا أفظع المآثم ، كالذي حدث في أفغانستان من تلك المناظر المذهلة التي أفزعت العالم ، من دماء وأشلاء وبكاء وبلاء، حيث جعلت أمريكا من الأعمال الإرهابية ضدها حجة لذبح أهلنا في أفغانستان وتمزيقهم شر ممزق ، وبعثرة خير كبير ، وتضييع حصاد طويل ، وكذلك ما قاموا به من امتهان كرامة أهلنا في العراق ، ومن ذبح المسلمين هناك ، وتدمير بيوتهم ، وتمزيق أجسادهم ، وتفريق جموعهم ، وكذلك التضييق الكبير على إخواننا المسلمين في أمريكا وأوروبا ، والوقوف ضدهم ، وسجن الآلاف منهم وجعلهم في قفص الاتهام ، وحجبهم عن الخير الكبير الذي كانوا يقومون به.. إلى غير ذلك من المآسي الكثيرة ، والمآلم الكبيرة التي تتبناها بلد الديموقراطية والحرية والسلام !! .

لماذا كل ذلك ؟! لماذا يُسَوَّغ لهم ويمهد لبطشهم بتصرفات رعناء ، وأعمال هوجاء ، يتبناها موتورون طائشون ، ليس بينهم عالم ناصح ، أو فقيه محقق ، أو إمام راسخ، لقد كانوا نكداً على الدعوة ونقمة على المسلمين ، وعثرة في طريق المصلحين .. إن التصرفات الطائشة من انتحار وتفجير وتكفير

ومحاربة ومواجهة ، لا تثمر إلا شراً ، ولا تجني إلا علقماً ، وإنها شر مستطير ، وضرر كبير لا يجوز لمسلم أن يتبناه، ولا لمؤمن أن يؤيده ، سواءٍ في هذه البلاد المسلمة أو غيرها من بلاد المسلمين مهما بلغ حالها ، أو حال زعمائها من الفسق والجور طالما أن القدرة على التغيير غير ممكنة ، بل كما قرّر العلماء أن الشر لا يجوز أن يزال بما هو شرٌّ منه ، فكيف بمن يريد أن يزيل الشر فيزول هو وتذهب ريحه ، وتموت دعوته ، والشر لا يزداد إلا قوة وفتكاً !!؟ أمَا من عقول تعي ، أما من ألباب تدّكر ، بل إن العلماء كما رأينا من أقوالهم ، وكما قرر العلامة ابن باز – رحمه الله – أنه حتى في البلاد الكافرة التي يحكمها الكفار لا يجوز للمسلم أن يخرج وأن يحمل السلاح وهو في قلة مستضعفين لأنه سيودي بنفسه إلى التهلكة دون خير يذكر ، أو فعل يشكر ، وربما جر الويلات والعناء على بقية المسلمين فيؤذون ويحاربون ويشردون ويطردون وينفون من الأرض بأسباب تصرفات فردية ، وأخطاء شخصية ، لم تصدر عن علم وبصيرة ، أو حكمة ودراية ، ومن يرضى لنفسه أن يكون نقمة وعذاباً وشؤماً على قومه .

٥ - جريمة القتل :

ومن حصاد الإرهاب الوقوع في جريمة قتل المسلمين والمستأمنين ، وهل يرضى مسلم لنفسه أن يتعرض لغضب الله ولعنته وجحيمه : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ .[النساء : ٩٣]

بل إن مجرد الإشارة للمسلم بما يخيفه سبب للعنة ، حيث يقول ﷺ : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه » . [أخرجه مسلم]

وأخبر ﷺ أن : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » [رواه البخاري : ٣١٦٦] ، فكيف بمن يجمع إلى ذلك قتل نفسه ؟! .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ . [النساء : ٢٩ - ٣٠]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » .

[رواه البخاري ومسلم]

إن قتل النفس عموماً لا يجوز أبداً ، يقول تعالى : ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ . [المائدة : ٣٢] ، ويقول تعالى : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ . [الأنعام : ١٥١] ، والنفس هنا تشمل المسلم وغير المسلم .

ويقول ﷺ : « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . [أخرجه البخاري]

٦ - الخيانة والغدر :

إن الأعمال الإرهابية خيانة للمسلمين ، وغدر بالمؤمنين ، إذا كانت في البلاد المسلمة ، وهي كذلك في غير بلاد المسلمين؛ لأن القائم بها قد دخل بتأشيرة نظامية إما للعمل أو السياحة ، ومنح تلك الخدمة ظناً منهم بسلامة مقصده ، فينكث العهد ، ويخون الأمانة ، ويغدر بمن ائتمنه ، ويفتك بالأبرياء ، وذلك ليس من سمات المسلم ، وقد كان من قصص المسلمين ووفائهم مع المشركين والكفار ما يملؤ الكون بهجة وإعجاباً ، وأعظمهم محمد ﷺ الذي أدى أمانات الكفار التي لديه جميعاً ، وكان معروفاً بالوفاء والصدق وحفظ الوعد والعهد ، أما الخيانة فليست من شيم العظماء .

يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ .
[النساء : ١٠٧]

ويقول تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ .
[الإسراء : ٣٤]

إن الخيانة والغدر والفتك صفات مناقضة للإيمان ، يقول ﷺ : « الإيمان قيد الفتك ؛ لا يفتك مؤمن » . [رواه أبو داود وغيره]

٧ - الاصطياد في الماء العكر :

إن مثل هذه الأعمال تفتح أبواب الشرور ، وتعبد طرق المكائد ، فتستغل ظروفها، وتغتنم أحداثها من أهل الشهوات ، وأرباب الشبهات ، وفلول العلمانيين ، وضروب المنافقين ، فيستعدون بها السلاطين على الدعاة ، ويستثيرون بها الشعوب

على المصلحين ، ويثيرون الغبار ، ويركبون الموجة لتحقيق مقاصدهم البغيضة ، وتسويق مآربهم الخبيثة . . ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ . [النساء : ١٤٢]

بل ويبدأ بعضهم بنشر الأفكار المتطرفة المعاكسة ، فيدعون إلى تعديل المناهج ، وإلى إغلاق المعاهد الدينية ، وإلى إلغاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحجيم دور مكاتب الدعوة ، وتحرير المرأة كما يدعون ، وما إلى ذلك من الحرب على سبل الخير ، ممتطين الحجة للحرب على الإرهاب ، ومحكمين لأهوائهم ، مقدمين لآرائهم على هدى الله تعالى : ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾ . [المؤمنون : ٧١]

وهنالك أيضاً صنف ثالث ممن يستغلون مثل هذه الأحداث ، وهم ممن يدعون إلى فهم الدين على طريقتهم، من التخلي عن كثير من الثوابت الشرعية ، وتمييع الدين ، وتغريب المنهج ، وتذويب كثير من مسلمات الدين في نفوس المسلمين ، يقصدون به التسامح مع الباطل ، والرضا بالمنكر ، والإغضاء عن الرذائل ، والسكوت عن الحق ، وتلك كلها أصوات شاذة متطرفة، ومصادمة صريحة للدين، يقول تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ .

[البقرة : ١١٠]

إن الدين الوسط هو العلم بشرع الله على نور من الله واتباع لرسوله ﷺ ، واقتداء بالعلماء العاملين ، وسير على النهج المتين .

إن بيان الحق ، ونصح الأمة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مسلمات في هذا الدين ، ولكن تكون بضوابطها الشرعية ، وأصولها الإيمانية .. أما شياطين الإنس والجن فإن المضي خلفهم ، والسير في ركابهم مسير إلى الهاوية ، ومضيٌ إلى الضلال : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ . [البقرة : ١٦٨ - ١٦٩]

٨ - التنفير من الدين :

ومن حصاد الإرهاب أنه تنفير من الدين ، وتشويه للإسلام وتلطيخ لسمعته ، وتعكير لصفوه ، والمصطفى ﷺ يناديا بقوله : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » [أخرجه البخاري] ، « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » [أخرجه البخاري ومسلم] ، « إن الله رفيق يحب الرفق » [صحيح الجامع] ، « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » . [أخرجه مسلم]

إن هذا الدين دين الفطرة ، يتواءم مع النفوس السوية ، وينسجم مع العقول النقية، لا يأباه الطبع ، ولا تنكره النفس ، ولا تضج به المشاعر ، بل ينساب إلى الأفئدة انسياب المياه للغدران ، والجداول للأنهار ، والنسيم العليل للولهان .. ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ . [الروم : ٣٠]

إنه كالغيث المبارك الهنيء ، والماء الزلال على الظمأ ، يأبى العنف ، ويمقت الجور، ويحرم الظلم ، ويأنف الضيم، ويندد بالقهر ، وينهى عن القسوة ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ**

﴿الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٨]

وجميع تكاليف هذا الدين إنما قامت على الرحمة ، فالله تعالى أرحم الراحمين ورحمته وسعت كل شيء ، وكتابه الذي أنزله هدى ورحمة ، والنبي الذي بعثه رحمة للعالمين ، وبالمؤمنين رؤوف رحيم ، ودينه دين الرحمة ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . [الحج : ٧٨]

وحتى الجهاد والقتال في سبيل الله هو من صميم رحمة هذا الدين ، ولطفه بالعالمين . . إن ظاهره العذاب والقتل ، ولكن باطنه الرحمة واللطف والحياة والنور ، وذلك أن هذا المنهج الراحم ، والدين الأيسر ، قد تقف في طريقه عقبات تحرم البشرية من فيض رحماته ، وأنهار لطفه ورفقه ، وقد يكون هناك قوى شريرة ظالمة تحاول أن تجتثه من أساسه ، وتقضي على رونقه ، فيقام هنا الجهاد لنشر رحماته للعالمين ، أو للذب عن حياضه من الحاقدين ، أما من قتل في سبيل ذلك فقد عرض نفسه لفيوض الرحمات التي لا منتهى لها بنيله لشرف الشهادة في سبيل الله ، وتضحيته بنفسه رحمة لآلاف العالمين المتلهفين لرحمات الدين . ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، فهم ينالون رحمة الله، وينالون الأجر الكبير الذي لا يعد له أجر .

ولا شك أن الجهاد ذروة سنام الإسلام ، وعنوان عزته

ومـجـده وشـرفـه وقـوته ، والأمـة لاتزال بخـيـر ومنعـة مـا أقـامت الجهاد، وأعدت العدة له ، وحدثت به نفسها .

ولكـن هذا الركـن العظيـم ، والعـمـل الجليل له ضـوابطه وقواعده ، وأحكامه ونظمه ، وليس كلاءً مباحاً ، وميداناً متاحاً لكل من هب ودب ، وعلم وجـهل ، بل هو راية ربانيـة هامـة لا ترفع إلا على سواعد العلم والفـقـه والحكمـة والبصيـرة والقـوة ، تكون له رايته الواضحة ، ووجهته المحددة، وعلماؤه الراسخون ، وجنده الصادقون ، ووقتـه المناسب .. أما التصرفات الفردية ، والاندفاعات العاطفية ، فهذه قد تكون نقمة وعذاباً، ولوعة وشقاء ، وتقلب معاني الرحمة قسوة وإرهاباً ، وتنفيراً وتشهيراً.

بل وتكون سـبـبـاً لإذلال المسلمين بدلاً من إعـزازهـم ، ولذلك كانت الحكمة العظيمة من تدرج تشريع الجهاد ، ولك أن تتأمل ما كان من سيرة المصطفى ﷺ وما كان من فرضية الجهاد عليه ، فرغم أنه نبي الله وخيرته من خلقه ، والمؤيد بوحيه ، كان فرض الجهاد عليه مراعياً للحال التي كان عليها المسلمون ، وجاء تشريعه على عدة مراحل .

لقد كانت تلك المراحل تدل على أهمية مراعاة الحال التي عليها المسلمون والزمن الذي يعيشونه ، ويجب الأخذ في الجهاد بالمرحلة التي تناسب حال المسلمين فيه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب

والمشركين» أهـ ، وهذا رأي الأئمة الأربعة وجميع علماء الأمة المعتبرين .

إنه جهاد الكفار الذين يقفون في وجه الإسلام ، ويعترضون طريق الحق ، ويؤذوا الله ورسوله ، ولا يعني ذلك أنه جهاد لإرغام كل أهل الأرض أن يكونوا مسلمين ، يقول تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ، وليس معنى ذلك أنه القتال للتخريب والتدمير والإفساد وهدم المنشآت وإتلاف الممتلكات ، والتعدي على الأبرياء ، بل هو قتال للمحاربين ، وجهاد للمتربصين ، جهاد يقصد منه الدعوة والخير والإحسان ، وفتح القلوب ، وتنوير العقول ، ونشر الرحمة للعالمين .

ولك أن تنظر إلى عظمة الإسلام في أحكامه وقواعده للمسلمين في حال وقوع القتال بينهم وبين أعدائهم ، وذلك ما تجليه وصية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – حيث قال : «لا تغدر ، ولا تمثل ، ولا تقتل هَرماً ، ولا امرأة ، ولا وليداً ، ولا تقربن شاةً ولا بعيراً إلا ما أكلتم ، ولا تُحرقن نخلاً ، ولا تخربن عامراً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، وسوف تمرون بأقوام فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له» [المدوّنة ٢/٧ وتاريخ الطبري] .. يا الله إنها الروعة في أبهى حللها ، والعدل في أبدع مظاهرة ، والرحمة في أسمى معانيها .. ثم انظر إلى الأعمال الإرهابية ، إنها مناقضة تماماً لكل كلمة من كلمات صديق الأمة المتلقي عن محمد ﷺ ، وقد قاس الفقهاء على ذلك المنع من قتل (التاجر ، والمقعد ، والأعمى ، والمشلول ،

والمعتوه ، والسائح ، ومقطوع اليد أو الرجل ، والمريض مرضاً مزمناً) .

وانظر إلى روئع الإسلام حتى في الحرب ، ثم انظر إلى أعداء الإنسانية من الصهاينة والصليبيين ، وتأمل ماذا فعلوا ويفعلون بالمسلمين ، من الشيوخ والنساء والأطفال ، من تمزيق وتحريق وهدم وترويع ووحشية وهمجية .

وإن الأمة المسلمة في هذا الزمن تعيش أحلك ظروفها ، وأضعف حالاتها ، تحتسي مرارة الفرقة ، وتكتوي بنار الشتات ، وتتجرع كؤوس الظلم ، وتتلظى بجحيم القهر والضيم .. القوة ضئيلة ، والعدة قليلة ، والنفوس ذليلة ، وهي بأمس الحاجة إلى تلافي أمرها ، وتدبر حالها ، بالعودة الصادقة إلى ربها ، والتمسك بدينها ، وإعداد العدة التي أمر بها ربها : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ . [الأنفال : ٦٠]

٩ - تحقيق المآرب :

من حصاد أعمال العنف والإرهاب أن أصبحت طريقاً للحاقدين ، وملاذاً للإرهابيين الحقيقين من أعداء المسلمين، إذ ترتكب الأعمال المخيفة ويتهم بها المسلمون، فينالون بذلك مآرب عدة ، ومطالب جمة ، منها زيادة تأليب الرأي العام على المسلمين ، ومنها كسب تعاطف العالم مع المعتدى عليه ، ومنها صرف الأنظار عن قضايا ساخنة ، أو مشكلات عالقة ، ومنها التغطية على إخفاق سياساتهم الداخلية أو الخارجية ، ومنها تأكيد دعاواهم في أن المسلمين مصدر للخطر والإرهاب ،

وخصوصاً بعض الدول التي لا يعجبهم تمسكها بدينها ، ومنها تصفية حسابات ، أو انتقام جهة من أخرى وإلقاء التهمة على المتهم الضعيف الذي لا محامي له ، ولا ناصر ولا معين .

إن هنالك كثيراً من أعمال الإرهاب حتى التي كانت ضد العدو نفسه كما قد يحدث لليهود أحياناً لا يستبعد المرء أن الذي كان وراءها هم اليهود أنفسهم .

أما بالنسبة لما يقوم به بعض من ينتسب إلى الإسلام فإن بعضهم مخترقون ومدفوعون ، وتهيأ لهم الأمور ، ويستجرون إليها من حيث يعلمون ولا يعلمون ، وإن خطط الأعداء ماكرة ، ومكائدهم ظاهرة ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ . [الشعراء : ٢٢٧]

١٠ - دعاء الناس :

ومن حصادها دعاء الناس على مرتكبيها لما يحدثونه من توتر أمني ، وترويع للآمنين ، وتأزم اجتماعي ، وتكدير لصفو المعيشة ، وتنغيص لمسيرة الحياة ، وعرقلة لأسفار الناس ومصالحهم وتنقلاتهم بسبب التشديدات الأمنية التي تتخذها الأنظمة لحفظ أمن الناس من الأخطار .

أصبح الناس يذوقون الأمرين في كل تنقلاتهم ، يعرقلون في المطارات ، ويعرقلون في القطارات ، ويعطلون في الحافلات ، ويستوقفون في الطرقات ، ويفتشون في الفنادق ، ويستجوبون في المراكز ، وهكذا يعثرون في كل مكان خوفاً من الإرهاب ، وتحسباً للحوادث ، وتأهباً للطوارئ .

١١ - إهدار طاقات شباب الأمة :

إن بعض الذين يقومون بأعمال الإرهاب شباب لديهم قدرات عجيبة ، وأفكار خلاقة ، وحيوية وثّابة ، ومثل هؤلاء كان بالإمكان أن يكونوا رصيداً للأمة ، وأن تسخر ملكاتهم تلك وطاقاتهم فيما ينفع البلاد والعباد ، بدلاً أن تصبح فساداً ، وتغدوا رماد .

١٢ - الجناية على الأبرياء :

من حصاد الإرهاب أن تضرر أناس كثير من الأبرياء ، فربما ليس لبعضهم ذنب ، إلا أنه عرف أحداً منهم ، أو زامله ، أو استضافه دون علم بحقيقة مقاصده ، فتكون تلك الرفقة والمعرفة شؤماً ونكداً عليه ، وقد يعاني من الويلات حتى تثبت براءته ، وقد حدث ذلك لكثير من الناس خصوصاً بعد الهجمات على أمريكا ، حيث زُجّ بالآلاف من الناس في السجون .

١٣ - تشويه صورة الصالحين :

تشويه صورة الصالحين ، والإساءة إلى المتدينين ، والترهيب من الملتحين ، والتخويف ممن عليهم سمات الدين ، والأولى بكل من يرتدي ثوب التدين ، ويتزين بزينة الصالحين أن يكون مصدراً للأمن ، ومثالاً للرحمة ، ومنبعاً للخير .

إن أبناء المسلمين وأطفالهم وعوامهم إذا ارتبطت عندهم الأعمال الإرهابية بصورة المتدينين الظاهرة فإن ذلك يحدث بلبلة في الأفكار ، وخللاً في النفوس ، وتوجساً في المسار ، وإلا معلوم أن العقلاء والنبلاء لا تختلط عليهم الأمور ، ولا تلتبس

عندهم الصور ، ولا يعممون الأخطاء ، وأفعال الأشخاص ليست حجة على الدين ، ولا قدحاً في المعتقد .

١٤ - تخويف الآمنين :

ومن حصادها إدخال الرعب على المسلمين ، والتخويف للآمنين ، والقلق للهانئين، وإذا كان الدين ينهى عن ترويع المؤمن حتى لو لمجرد المزاح ، فكيف بمن يروع قلبه، ويخيف أهله، ويقض مضجعه بلا ذنب جناه ، أو خطأ ارتكبه .

إن الأمن جزء لا يتجزأ من إيمان المؤمن ، والسلام جزء من الإسلام ، ها هو ﷺ يقول : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» .

[أخرجه البخاري]

١٥ - صرف الناس عن الطاعة :

ومن حصادها أنها تصرف الناس عن الطاعة ، وتشغلهم عن العبادة ، وتصرف جهد العلماء ، وأقلام الدعاة ، وأفكار الولاة عن السعي لمنافع المؤمنين ، والسير لمصالح المسلمين إلى الاشتغال بهم ، والملاحقة لفلولهم ، والرد على أفكارهم والتحذير منها ، وصرف كل الجهد للسلامة من شرهم ، بل وفيها كذلك إعاقة للدول عن التقدم والتنمية والتكنلوجيا ، حيث تنشغل بهذه الفتن الداخلية عن غيرها ، إضافة إلى ما يضيع لأجل ذلك من جهد ومال .

١٦ - إعطاء الفرصة للمتربصين :

هنالك كثير من الأعداء المتربصين ، والألداء الحاقدين ، يتمنون لهذه البلاد أن تدب فيها الفرقة ، وأن يحدث الخلاف ،

وأن تضطرب الأمور ، لعلهم يجدون في ذلك مبرراً لمحاولات التدخل المباشر بحجة المحافظة على الأمن ، والمساعدة في استتباب الأمور ، وحماية المصالح الاقتصادية وغير ذلك ، ولكن نعوذ بالله من شرورهم ، وندرء به في نحورهم .

١٧ - الإحراج القبلي والعائلي :

رغم أن الإرهاب ليس له جنس ولا وطن ولا زمان ولا مكان معين ، ورغم أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، إلا أن بعض من وقعوا في شباكه ممن ينتسبون إلى قبائل معروفة ، وأسر محترمة، سببوا حرجاً كبيراً لهم ، وأصبحوا يرونهم نقطاً سوداء في سجلاتهم ؛ وإن القبائل والعوائل في هذه البلاد المباركة على وجه الخصوص قد تجلت في هذه الأحداث مواقفها المشرفة من التأييد لولاة الأمور ، والاستنكار للإرهاب ، والوقوف صفاً واحداً في وجهه .

إن البلدان المحترمة ، والمجتمعات الشامخة لا ترضى لحفنة من الناس أن تملي عليها توجهاتها وأفكارها عبر تصرفاتها الرعناء ، وقد وقف مشايخ القبائل يعلنون براءتهم من كل عمل إرهابي ومن وراءه ، بل وقف الآباء والإخوان والأقارب يتبرأون ممن تلطخ من أبنائهم بشيء من ذلك ، وفي هذا أعظم الخزي والملامة على المعتدين ، فمن يرضى لنفسه هذا النبذ والتخلي والمخاصمة حتى من أقرب الناس إليه بدلاً من كسب الثناء ، ورضى الناس ، وطاعة الوالدين ، والبر بالأهل ، والإحسان للعشيرة . وإن الناس شهود الله في أرضه .

١٨ - قطع الطريق على النفس :

إن هؤلاء الناس الذين يضحون بأرواحهم قد قطعوا على أنفسهم خيراً كبيراً ، وعطاءً كثيراً ، كان بإمكانهم أن يعمروا به حياة طويلة ، وأن يسطروا فيه سجلات عظيمة . . إنهم بادروا الله بأنفسهم على غير هدى ، ومن دون محجة ، وكان بإمكانهم أن يثقلوا موازينهم بعطاء جميل ، وعمل جليل ، بدلاً من استعجال الموت ، وإتلاف النفس ، وإزهاق الروح في غير ما أراده الله وسَنّه رسوله ﷺ .

١٩ - ضياع الأمن :

ومن حصادها المرّ أنها تتسبب في اهتزاز الأمن ، وإثارة الاضطراب ، وشيوع الفوضى ، والأمن هو أساس الرخاء ، وعنوان النماء ، ومنة الله على عباده ، ونحن نعلم ما كانت تعيشه هذه الجزيرة من خوف وهلع ، وذعر وفزع ، وسلب ونهب ، وظلم وحيف ، وقتل وجور ، ولا يأمن المرء على نفسه ، ولا المرأة على عرضها ، ولا القبيلة على حياتها ، عداءات وغارات ، تحديات وعصبيات ، وكان الخوف يتربص بالمسافرين . وكم كان المرء يخرج وهو متهيئ لموته ، لابس لأكفانه، متوقع لسلبه ونهبه ، فقيض الله لهذه البلاد دعوة الخير ، وصحوة الدين ، وروعة العقيدة ، ثم تفتق رحم الجزيرة عن الإمام الهمام ، والبطل المقدام، الملك عبد العزيز – رحمه الله – الذي مكن لهذه الدعوة ، وأخذ بتلك الأسس ، فطبق الشرع، وأقام الحدود، ونشر العلم ، ومكن للمعرفة ، فمد الأمن رواقه ، وبسط الرخاء

ثوبه ، وألقى الرغد بظلاله .. فمن ذا الذين يريد الخوف بدلاً من الأمن ، والقلق بدلاً من الراحة، والفرقة عوضاً عن الوحدة؟!!

كم كان يلقى عباد الله من نصبٍ
مضْنٍ ومن وعثاء الدرب في السفر
جوعٌ ، وخوفٌ ، وإعياءٌ ، وأوبئةٌ
فَتَّاكة الحدِّ لم تبق ولم تذر
وأهل شرٍّ إذا ما مرّ قافلةٌ
فالويل إن لم تكنْ منهم على حذر
قبائلٌ وصراعات وألويةٌ
مشئومة الوجه في بدوٍ وفي حضر
إذ لاح طيفُ إمامٍ جاء منتصرا
للدين والعدل والأخلاق والطُّهُر
عبد العزيز الذي فلَّتْ عزائمُهُ
فلولَ أهلِ الردى والشرك والخور
نورٌ يجلي ظلام الجهل في ثقةٍ
عظمى ويفتك بالأغلال والأُصُرِ
أعاد للمجد والإسلام رونقه
وصانه من ظلال الفكر والفِكَر
بنى على العدل والتوحيد مملكة
أضحت تباري علو الأنجم الزُّهُر

إن الإنسان اليوم يسير في هذه المملكة المترامية الأطراف

فيقطعها من شرقها إلى غربها ، ومن جنوبها إلى شمالها ، ويعبر مساحات هائلة ، ومسافات شاسعة ،وقد يكون ممتطياً لناقلة أو حافلة ، وليس فيها إلا هو وبناته أو أخواته ، ومع ذلك يسيرها هادئ البال ، مطمئن الخاطر ، قرير العين على نفسه وعرضه وماله، فهل سأل المتهاونون بالأمن أنفسهم ماذا تكون عليه الحال لو فسد الأمن ، وضاعت الطمأنينة ، وبزغ شبح الخوف؟

إن التفريط في جانب الأمن جريمة كبرى ، ومن تهاون به أو فرط فيه أو تسبب في ضياعه فهو شيطان أخرس ، وتعيس أحمق ، ماذا جنى الخروج وحمل السلاح والبطش والقوة في دول العالم، ماذا حل بنا وبالدعوة في كثير من البلدان العربية والإسلامية ، وماذا جنت الدعوة من العنف إلا المقت والمحق ، والمحاربة والتشريد . . إن انفلات زمام الأمن هو فتح لبوابة الخوف والفتن والرعب والطيش والأهواء والعصبيات والتناحر والتشاجر. . إنه تمزق الجماعة ، وضياع الطاعة ، وغياب الشعائر، وانطماس البصائر، إنه عيد الشيطان ، وفرحة الطغيان ، وتفرق الدين ، وترويع الآمنين.

وإن من الأصول العظيمة التي جاء بها الدين ، وتميزت بها الشريعة : (أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، ودفع المفاسد وتقليلها) ، ومن المعلوم لدى كل عاقل ، والواضح لكل سوي أن الأمن من أعظم المصالح ، بل هو أساسها ، وأن ضياعه رأس المفاسد ، وعنوان الرزايا ، ومفتاح البلايا . . ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ . [قريش : ٣- ٤]

٢٠ - إحداث الفرقة :

من حصاد أعمال الإرهاب أنها نسف للأخوة ، وتدمير للألفة ، وبذور للفتنة ، وفؤوس للفرقة ، ومدعاة للإخفاق .. العلماء ضدها ، والفقهاء خصمها ، والدعاة في وجهها .. أين هي من نداء رب العالمين ، وهتافات سيد المرسلين؟ أين هي من قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا** ﴾ . [النساء : ٥٩]

ويقول تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ويقول تعالى : ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ . [الأنفال : ٤٦]

ويقول ﷺ : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» .

يا شعوب الإسلام يكفي ضياعاً
وانصياعاً لذلة وهوان
آن أن نلتقي على خير نهج
من عليم بالسر والإعلان
آن للحب والرضا والتآخي
أن تُقَوَّى جسورها والمباني
يتداعى أهلُ الضلال علينا
كَتداعي الجياع حَول الخِوَان

لكنْ الشـدةُ العظيـمـة بشـرى
حلِّهـا : أن تزيد في العنفـوان
سـيظل الإسـلام صـوتاً نـدياً
وزكـيـاً في قـمـة الريعـان
عـجـبـاً أمـره إذا سـيم ضـيـمـا
بات أقـوى من كل ضـيـم وجـان
في أوروبا في الغـرب في الشـرق يسـري
كـالنسـيم العليل بين المغـاني
إنه الفطرة النقـيـة تسـمـو
والجـواب المريح للحـيـران

إن أمة الإسلام تعيش حالة من الضعف والهوان والانقسام ، وإن الأعداء يتربصون بها من كل جانب ، فهي بأمس الحاجة إلى تراص الصفوف ، وتوحد الآراء ، وتكامل الجهود ، وبث روح الألفة ، وعبق الأخوة ، وأريج التسامح، كما أنها بحاجة إلى إعداد العدة ، وتهيئة القوة بشتى أنواعها ، القوة العلمية ، القوة الفكرية ، القوة المالية ، القوة الحربية ، القوة الأخوية باجتماع الكلمة ، ووحدة الصف ، وتماسك المجتمع : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ . [الصف : ٤]

أما المندفعون والمتهورن فيجب أن يقف الجميع في وجوههم .. ماذا جنينا من فعلهم ، وما هو ربح الإسلام من عملهم ، وماذا صنعوا هم بأنفسهم؟ خالفوا العلماء ، وشقوا عصا الطاعة ، وروعوا الآمنين ، وأخافوا المسلمين ، وقتلوا المؤمنين ، وفرحوا الحاسدين ، وشوهوا سمعة الدين .. إن

العلمـاء أنكروا فـعلهم، والفطر تمج نهـجـهم ، والعـالـم يبـغض أسلوبهم ، والقلوب تنفـر من بطشـهم ، فـمـا هي المكاسب التي تحققت ، والأرباح التي جنيت ، مَنْ مِنَ العلماء العاملين أفتاهم، مَنْ مِنَ الفقهاء الراسخين أجازهم . . إن المتقين الأخيار يتردد المرء منهم في المسألة الصغيرة مائة مرة ، فكيف بالإقدام على هذه الأعمال الجسيمة التي فيها إتلاف الأرواح وإزهاق الأنفس ونشر الرعب وزعزعة الأمن ، وجر البلاد المسلمة إلى كهوف مظلمة ، وحتوف مرعبة !! .

بل لقد رأينا بعض من يميلون إليه في مشاربهم ، ويتلقون عنه في مـذاهبـهم ، ويأخـذون عنه فـتـاواهم البـاطلة، وآراءهم القـاتلة كـيف انقلب على نفسـه ، وتبـرأ من فـتـاواه، ورجع عن آراءه ، وأعلن الندم ، وأظهـر الأسف ، وصـدح بالتـوبة ، لما رأى من بطلان الطريق ، وفـداحـة الخطب ، وهول المصـيـر ، وسـيئ العواقب . . والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

إن الأمة بحاجة إلى قدوات شامخة ، وقدرات راسخة ، تمضي على نور من الكتاب ، وتطبق منهاج النبوة ، وتسير على أثر السلف الصـالح ، يوجـهـون الدعـاة ، ويلاطفـون الولاة ، وينصـحـون للأمـة ، رائدهم الوحي ، وقـائدهم مـحـمـد ﷺ ، وأسلوبهم الرفق ، وعنوانهم الرحـمـة ، ودسـتـورهم الإخـلاص ، يتعاملون مع كل الفئات ، وجميع الطبقات ، بما يمليه الشرع، ويرتضيه الرب ، وتطيقه النفوس ، ويحتمله الواقع ، ويوازنون القوى ، وينبذون الهوى .

إن هذا الدين لا يذهب رونقه ، ولا يتلاشى بهاؤه ، ولا يخفت سناؤه ، وإنه دين الرحمة والعطف ، والسهولة واللطف ، لا يورث الحرج ، ولا يحدث العنت ، ولا يكلف المشقة ، ولا يأمر بما لا يحتمل ، ولا يجر للمهالك ، أو يدعو للمتالف ، وإن ما يحدث من أخطاء وأعباء وأدواء وأرزاء هو بسبب عدم فهم روحه ، ومعرفة كنهه ، وسبر أغواره، والاستنارة بنوره . . ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ . [النور : ٤٠]